اهدنا الصراط المستقيم

إهد = صيغة فعل أمر حاضر معروف مجزوم بحذف آخره لأنه لفيف من باب ضرب يضرب

الفاعل : هو ضمير مرفوع مستتر

نا : مفعول به (المفعول الأول) ضمير منصوب متصل

الصراط : مفعول ثاني منصوب بالفتحة الظاهرة و هو موصوف بما بعده

المستقيم : اسم الفاعل من استقام يستقيم باب الاستفعال حروفه الأصلية ق و م , و مستقيم أصله مستقوم على وزن مستفعل فنقل حركة الواو إلى ما قبله لأنه متحرك و ما قبله حرف صحيح ساكن ثم انقلبت الواو ياء فصار مستقيم

فوائد أخرى

- ما فائدة تعريف {الصراط المستقيم} باللام وهلا أخبر عنه بمجرد اللفظ دونها كما قال: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} (سورة الشورى: الآية 52).

المسألة تعريف الصراط باللام هنا فاعلم أن الألف واللام إذا دخلت على اسم موصوف اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره، ألا ترى أن قولك: جالس فقيهاً أو عالماً ليس كقولك: جالس الفقيه أو العالم، ولا قولك أكلت طيباً كقولك الطيب، ألاترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق». ثم قال: «ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق» فلم يدخل الألف واللام على الأسماء المحدثة وأدخلها على اسم الرب تعالى ووعده وكلامه.

فإذا عرفت هذا فلو قال: اهدنا صراطاً مستقيماً لكان الداعي إنما يطلب الهداية إلى صراط ما مستقيم على الإطلاق، وليس المراد ذلك بل المراد الهداية إلى الصراط المعين الذي نصبه الله تعالى لأهل نعمته وجعله طريقاً إلى رضوانه وجنته، وهو دينه الذي لا دين له سواه، فالمطلوب أمر معين في الخارج والذهن لا شيء مطلق منكر، واللام هنا للعهد

العلمي ، وهو أنه طلب الهداية إلى سر معهود قد قام في القلوب معرفته والتصديق به وتميزه عن سائر طرق الضلال، فلم يكن بد من التعريف.

فإن قيل: لم جاء منكراً في قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم {ويهديك صراطاً مستقيماً} (سورة الفتح: الآية 2) وقوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} (سورة الشورى: الآية 52) وقوله تعالى: {واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم} (سورة الأنعام: الآية 87) وقوله تعالى: {قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم} (سورة الأنعام: الآية 161)؟

فالجواب عن هذه المواضع بجواب واحد وهو أنها ليست في مقام الدعاء والطلب، وإنما هي في مقام الإخبار من الله تعالى عن هدايته إلى صراط مستقيم وهداية رسوله إليه، ولم يكن للمخاطبين عهد به ولم يكن معروفاً لهم، فلم يجيء معرفاً بلام العهد المشيرة إلى معروف في ذهن المخاطب قائم في خلده، ولا تقدمه في اللفظ معهود تكون اللام معروفة إليه، وإنما تأتي لام العهد في أحد هذين الموضعين، أعني أن يكون لها معهود ذهني أو ذكري لفظي، وإذ لا واحد منهما في هذه المواضع، فالتنكير هو الأصل، وهذا بخلاف قوله: {اهدنا الصراط المستقيم} فإنه لما تقرر عند المخاطبين أن لله صراطاً مستقيماً هدى إليه أنبياءه، ورسله وكان المخاطب سبحانه المسؤول من هدايته عالماً به دخلت اللام عليه، فقال: {اهدنا الصراط المستقيم}.

- ما معنى الصراط ومن أي شيء اشتقاقه ولم جاء على وزن فعال، ولم ذكر في أكثر المواضع في القرآن بهذا اللفظ، وفي سورة الأحقاف ذكر بلفظ الطريق فقال: {يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم} (سورة الأحقاف: الآية 30).

مسألة اشتقاق الصراط المستقيم، فالمشهور أنه من صرطت الشيء أصرطه إذا بلعته بلعاً سهلاً، فسمى الطريق صراطاً لأنه يسترط المارة فيه.

والصراط ماجمع خمسة أوصاف أن يكون طريقاً مستقيماً سهلاً مسلوكاً واسعاً موصلاً إلى المقصود، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطاً، ولا الصعب المشق، ولا المسدود غير الموصل، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك. قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط --- إذا اعوج الموارد مستقيم

وبنوا الصراط على زنة فعال، لأنه مشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط، وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش والكتاب إلى سائر الباب،

و يأتي لثلاثة معان: أحدها: المصدر كالقتال والضراب.

والثاني: بمعنى المفعول نحو الكتاب والبناء والغراس.

والثالث: أنه يقصد به قصد الآلة التي يحصل بها الفعل ويقع بها كالخمار والغطاء والسداد لما يخمر به، ويغطى ويسد به، فهذا آلة محضة والمفعول هو الشيء المخمر والمغطى والمسدود ومن هذا القسم الثالث إله بمعنى مألوه ،

وأما ذكره له بلفظ الطريق في سورة الأحقاف خاصة، فهذا حكاية الله تعالى لكلام مؤمني الجن أنهم قالوا لقومهم: {إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم} (سورة الأحقاف: الآية 30) وتعبيرهم عنه ها هنا بالطريق فيه نكتة بديعة، وهي أنهم قدموا قبله ذكر موسى، وأن الكتاب الذي سمعوه مصدقاً لما بين يديه من كتاب موسى وغيره، فكان فيه كالنبأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لقومه: {ماكنت بدعاً من الرسل} (الأحقاف: الآية 9) أي لم أكن أول رسول بعث إلى أهل الأرض بل قد تقدمت رسل من الله إلى الأمم، وإنما بعثت مصدقاً لهم بمثل مابعثوا به من التوحيد والإيمان، فقال مؤمنو الجن: {إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم} (سورة الأحقاف: الآية 30) أي إلى سبيل مطروق قد مرت عليه الرسل قبله، وأنه ليس ببدع كما قال في أول السورة نفسها، فاقتضت البلاغة والإعجاز لفظ الطريق، لأنه فعيل بمعنى مفعول، أي مطروق مشت عليه الرسل والأنبياء قبل، فحقيق على من صدق رسل الله وآمن بهم أن يؤمن به ويصدقه، فذكر الطريق هاهنا إذاً أولى، لأنه أدخل في باب الدعوة والتنبيه على تعين اتباعه، والله أعلم.

- لم قال: {اهدنا الصراط المستقيم} فعدى الفعل بنفسه ولم يعده بـــ (إلى) كما قال تعالى، {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} (سورة الشورى: الآية 52) وقال تعالى: {واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم} (سورة الأنعام: الآية 87).

مسألة تعدية الفعل هنا بنفسه دون حرف (إلى)، فجوابها أن فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة وبحرف (إلى) تارة وباللام تارة، والثلاثة في القرآن، فمن المعدى بنفسه هذه الآية. وقوله: {ويهديك صراطاً مستقيماً} (سورة الفتح: الآية 2)-

ومن المعدى بـــ(إلى) قوله: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} (سورة الشورى: الآية 52) وقوله تعالى: {قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم} (سورة الأنعام: الآية 161)-

ومن المعدى باللام قوله قول أهل الجنة: {الحمد لله الذي هدانا لهذا} (سورة الأعراف: الآية 43) وقوله تعالى: {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم} (سورة الإسراء: الآية 9).

والفروق لهذه المواضع تدق جداً عن أفهام العلماء، ولكن نذكر قاعدة نشير إلى الفرق، وهي أن الفعل المعدى بالحروف المتعددة لابد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو رغبت عنه ورغبت فيه، وعدلت إليه وعدلت عنه، وملت إليه وعنه، وسعيت إليه وبه، وإن تفاوت معنى الأدوات عسر الفرق، نحو قصدت إليه وقصدت له، وهديته إلى كذا وهديته لكذا، وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف ومايستدعي من الأفعال فيشربون الفعل المتعدي به معناه، هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه رحمه الله تعالى، وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن، وهذا نحو قوله تعالى: {عينا يشرب بها عباد الله} (سورة الإنسان: الآية 6) فإنهم يضمنون يشرب معنى يروى فيعدونه بالباء التي تطلبها، فيكون في ذلك دليل على الفعلين أحدهما: بالتصريح به. و الثاني: بالتضمن، والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها.

ومن هذا قوله تعالى: {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه} (سورة الحج: الآية 25) وفعل الإرادة لا يتعدى بالباء ولكن ضمن معنى يهم فيه بكذا، وهو أبلغ من الإرادة، فكان في ذكر الباء إشارة إلى استحقاق العذاب عند الإرادة وإن لم تكن جازمة، وهذا باب واسع لو تتبعناه لطال الكلام فيه، ويكفي المثالان المذكوران.

فإذا عرفت هذا ففعل الهداية متى عدي بـــ (إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية، ومتى عدي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا، فهم معنى ذكرته له وجعلته له وهيأته، ونحو هذا، وإذا تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله وهو التعريف والبيان والإلهام.

فالقائل إذا قال: اهدنا الصراط المستقيم هو طالب من الله أن يعرفه إياه ويبينه له ويلهمه إياه ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرد الفعل من الحرف

- هل الهداية هنا هداية التعريف والبيان أو هداية التوفيق والإلهام؟

هي أن الهداية هنا من أي أنواع الهدايات، فاعلم أن أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى: {الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} (سورة طه: الآية 50) أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيأته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ، ثم هداه إلى ماخلقه له من الأعمال، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ماينفعه

ودفع مايضره ، وهداية الجماد المسخر لما خلق له ، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها ،

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقة النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب، ولهذا ينبغي الهدى معها كقوله تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى} (سورة فصلت: الآية 41) أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا. ومنها قوله: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} (سورة الشورى: 93).

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام ، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: {يضل من يشاء ويهدي من يشاء} (سورة النحل: الآية 93) وفي قوله: {إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل} (سورة النحل: الآية 37) وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له»، وفي قوله تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت} (سورة القصص: الآية 56) فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} (سورة الشورى: الآية 52)-

الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم} (سورة يونس: الآية 9) وقال أهل الجنة فيها: {الحمد لله الذي هدانا لهذا} (سورة الأعراف: الآية 43).

وقال تعالى عن أهل النار: {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم} (سورة الصافات: الآيتان 22ـــ23).

إذا عرف هذا فالهداية المسؤولة في قوله الصراط المستقيم إنما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة، فهي طلب التعريف والبيان والإرشاد والتوفيق والإلهام.

- ما فائدة الإتيان بضمير الجمع في: {اهدنا}، والداعي يسأل ربه لنفسه في الصلاة وخارجها ولا يليق به ضمير الجمع ولهذا يقول (رب اغفر لي وارحمني وتب علي).

مسألة الإتيان بالضمير في قوله: {اهدنا الصراط} (سورة الفاتحة: الآية 4) ضمير جمع، فقد قال بعض الناس في جوابه أن كل عضو من أعضاء العبد وكل حاسة ظاهرة وباطنة مفتقرة إلى هداية خاصة به، فأتى بصيغة الجمع تنزيلاً لكل عضو من أعضائه منزلة المسترشد الطالب لهداه ، فهذا الجواب ضعيف لأن الإنسان اسم للجملة لا لكل جزء من أجزائه وعضو من أعضائه، والقائل إذا قال: اغفر لي وارحمني واجبرني وأصلحني واهدني سائل من الله ما يحصل لجملته ظاهره وباطنه، فلا يحتاج أن يستشعر لكل عضو مسألة تخصه يفرد لها لفظة.

فالصواب أن يقال هذا مطابق لقوله: {إياك نعبد وإياك نستعين} (سورة الفاتحة: الآية 5) والإتيان بضمير الجمع في الموضعين أحسن وأفخم، فإن المقام مقام عبودية وافتقار إلى الرب تعالى وإقرار بالفاقة إلى عبوديته واستعانته وهدايته، فأتى به بصيغة ضمير الجمع، أي نحن معاشر عبيدك مقرون لك بالعبودية، وهذا كما يقول العبد للملك المعظم شأنه: نحن عبيدك ومماليكك وتحت طاعتك ولا نخالف أمرك، فيكون هذا أحسن وأعظم موقعاً عند الملك من أن يقول: أنا عبدك ومملوكك، ولهذا لو قال: أنا وحدي مملوكك، استدعى مقته، فإذا قال: أنا وكل من في البلد مماليكك وعبيدك وجند لك كان أعظم وأفخم، لأن ذلك يتضمن أن عبيدك كثير جداً وأنا واحد منهم، وكلنا مشتركون في عبوديتك والاستعانة بك وطلب الهداية منك، فقد تضمن ذلك من الثناء على الرب بسعة مجده وكثرة عبيده وكثرة سائليه الهداية ما لايتضمنه لفظ الإفراد، فتأمله. وإذا تأملت أدعية القرآن رأيت عامتها على هذا النمط نحو: {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} (سورة البقرة: الآية 20) ونحو دعاء آخر البقرة وآخر آل عمران وأولها وهو أكثر أدعية القرآن.